بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بالمؤلف

الأستاذ «آدم عبد الله الإلوري» عَلَم من أعلام الدعوة إلى الإسلام، ولغة القرآن، في «نيجيريا» البلاد العزيزة، ذات التاريخ الضخم في أفريقيا السوداء، والوشائج العريقة الهامة بالإسلام والعروبة.

جمعتنا الزمالة في عدد من المؤتمرات الإسلامية، فربطت بيننا آصرة أخوة في الله، لم يتسع لها المجال، لقدرٍ كافٍ من التواصل والتعامل.

حتى كانت زيارته الأخيرة للمغرب العربي، في طلائع شعبان ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، وأنا في «رباط الفتح»، أدرِّس: «الإسلام والتيارات المعاصرة» لطلاب الدراسات الإسلامية العليا، في «دار الحديث الحسنية» من «جامعة القرويين»، فكانت فرصة غالية، للقاءٍ جديد، ومزيدٍ من التعارف والتآلف.

سعدتُ حقًا -كما سعد كبار الرجال الذين اتصل بهم الأستاذ الإلوري، في المغرب، من علماء وزعماء ووزراء وسفراء- بما يتحلى به هذا الأخ المسلم الداعية، من تواضعٍ وعلمٍ وعزيمة وإخلاص، وكانت السعادة أكبر، لوجوده في «نيجيريا» البلاد التي تضمّ أكبر عدد من المسلمين في القارة الأفريقية.

وفي هذا الوقت بالذات، حيث تحتدم في العالم معركة التحويل الحضاري بين الإسلام والجاهلية، الجاهلية بأجنحتها الثلاثة: اليهودية،

obeikandl.com

والصليبية، (ولا نقول النصرانية)، والاستعمار، رأسماليًا وشيوعيًا. ولا سيما بعد أن كتب الله النصر للإسلام على الجاهلية الرعناء، في نفس «نيجيريا» بفشل حرب التمرد والانفصال في «بيافرا» رغم كل المساعدات العدو لها.

وقد تلطف الأخ الأستاذ الكريم، فأطلعني على شيء من نشاط «مركز التعليم العربي الإسلامي» الذي يتولى إدارته ورعايته، كما أهداني عدداً من كتبه ورسائله القيّمة، فكان ذلك خير دليل على صدق جهاده، وعلو همته، واستنارة بصيرته بنور الله؛ وقدَّرت -وأنا المكابد المتلظي بنار الأعباء والأعداء- أي عبء يحمل، وأى فراغ يسد.

وإنه لواجب مقدس، يترتب في أعناق كل ذوى القدرة من الحكام والأغنياء، أن يجدُّوا في مساعدة مشاريع هذا الأخ المخلص المصلح وأعماله، ونظائرها، في هذا الزمن الذي تزداد فيه شكوانا إلى الله، من ضعف الأمين وقوة الخائن! ونحن نشهد تنازع البقاء بين حضارة الطين وحضارة الدين..

إننا لنتفاءل حقًا بغد بعيد، تتضح فيه وجهة المسيرة الإنسانية الحضارية، مستهدية بنور الإسلام، ولكننا نقدّر أن ذلك سيكون عبر كثير من النوائب والمصائب، حيث ستهتك زيوف المدنية الصناعية المادية المعاصرة، وتهلك أجيالها في تيه الانحلال والضياع، من جهة، وتردُّ أمة القرآن إلى ربها ردًا جميلاً سديداً، من جهة أخرى. وعسى أن تكون انطلاقة «فتح» في الجهاد المقدس، بداية الطريق، ونجدة الغريق، ثبت الله خطاها في الحق، ومدَّها بملائكة «بدر» ووقاها شرور الدخلاء والعملاء، والتطرف والغرور.

لقد أحسن الأخ الأستاذ الإلوري بي الظن، فدفع إليَّ بكتابه المخطوط، الذي يريد طبعه وشيكًا: «الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودى» لأكتب كلمة للقراء بين يديه. وإنها منه لعاطفة كريمة، لا أراني جديراً بها، ولا قديراً على الاعتذار عن الاستجابة لها، لمكانة الأخ الأستاذ الفاضل في نفسي، ولما أعتقده من ضرورة تأييده، ولو بجهد المقلٍّ.

لم تتسع أيام الأستاذ في المغرب، ولا مكنتني رحى الهموم والمشاغل والأعباء، التي تدور عليَّ صباح مساء، من أن أفرغ لمطالعة الكتاب كاملاً، بيد أنني تصفحته على عجل، ووجدتُ فيه جوانب من تاريخ الإسلام في بلاد أفريقيا السوداء، وصفحات من أخبار المعارك الدائمة. بين الإيمان والشرك، والخير والشرِّ، والإسلام والجاهلية. كما رأيته يضم معلومات مفيدة، تلقي بعض النور، على الأحداث الخطيرة الأخيرة التي عاشتها «نيجيريا»، وما تزال، قبل استشهاد قائدها البطل، المجاهد الهمام، الرئيس «أحمدو بللو» وأسرته ورفيقه «أبو بكر تفاوا بليوه» رحمهم الله والشهداء جميعًا وأكرم مثواهم في الفردوس الأعلى، ثم خلال حرب الانفصال مع إقليم «بيافرا» المنشق، وما انتهت إليه بعون الله، مما لا يصح أن يجهله أبناء الجيل المسلم، عربًا وغير عرب، ولا أن يكتفوا منه بالعلم دون العمل، وبالدعاء دون المشاركة الفعالة، كل في نطاق وسعه، لا سيما في هذا الزمان الذي يمتحن فيه المؤمنون في كل مكان، ويعيش الإسلام المعركة بأخطر وأعمق أبعادها، في فلسطين بخاصة، حيث تتلاقى على حربه المعسكرات العدوة، المتحالفة فيما بينها! يساعدها الطواغيت في أمتنا، ولله عاقبة الأمور.

شكر الله للأخ الأستاذ الداعية المخلص «آدم عبد الله الإلوري» جهده وجهاده، ووفقه وأخذ بيده، وهداه وهدى به، وكان لنا وله . . ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوى عزيز .

عن رباط الفتح في العاشر من شعبان ١٣٩٠هـ الموافق أكتوبر ١٩٧٠م .

عمر بهاء الدين الأميري

●●●

Obeikandl.com

من تقاريظ الكتاب

كلمة الشيخ محمد ناصر محمد كبر(١)

مؤسس مدرسة الشريعة الإسلامية - كنو- نيجيريا

الحمد لله الذي علَّم بالقلم الإنسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير ولد عدنان، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم، إلى يوم الدين بإحسان.

وبعد:

فلقد أتاح الله الفرصة السعيدة للعلامة الأستاذ الجهبذ اللوذعي الألمعي العَلَم العليم، الفطن التبن، الحذقة اللبقة، البحر الحبر الفهامة، المؤرخ المثقف، الشاعر الأديب، نسيج وحده وفريد عصره: **آدم عبد الله الإلوري** أن وفقه الله لإبراز كتابه: «**الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي**» كتاب ينادى على مصنفه بالتقدمة على الأقران في هذا الزمان، كتاب قضى به مؤلفه الدَّين الذي على رقاب علماء نيجيريا قديمًا وحديثًا. فيه حصلت براءة الذم من فطاحل هذه الأمم. وقد نوَّه هذا الكتاب بمفاخر اندرست معالمها، وانطمست أعلامها، وذهبت عوالمها، فها هو يخبر العالم بمكارم الآباء والأجداد في الأعصر الخالية، التي ازدهي فيها علم الإسلام، وترفرفت وعلت فيها ذؤابة العلماء، وتسامى قدر الطالب وتشرق. وفديت مهج الدين بمهج الطين فربحت التجارة الحديثة.

---

(١) توفي إلى رحمة الله عام ١٩٩٦م.

obeikandi.com

على أننا إذا جمعنا تلك المكارم القديمة إلى مكارم هذا المؤلف الفخيمة أنشدنا:

تلك المكارم لاقعبان من لبن   شيبًا بماء فعادا بعد أبوالا

فلا أراه إلا كمن أحيا أمواتًا، وأنعش عظامًا رفاتًا، فهل فوق ما فعل يوجد شيء يفتخر به علم الإسلام في هذه الأقطار؟. فالمولى يجازيه جزاء المحسنين، ويكتب عمله في سجل المقربين المرقوم في عليين.

ذي الحجة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م

محمد ناصر محمد

خادم العلم والإسلام

بمدينة كنو

●●●

o p e i k a n d l . c o m

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

منذ ألف سنة مضت، عرف المسلمون بلاد السودان الغربي، أو بلاد (التكرور) كجزء من العالم الإسلامي، ذى ثقافة مكتملة وحضارة مزدهرة.

ثم عرفوها منذ مائة سنة أثناء الاستعمار الأوربي بأسماء مختلفة، في حدود مصطنعة، فانطوت في زوايا المجاهيل من أثر ما أصابها من تدهور وانحطاط.

ولما انبعثت بلاد أفريقيا من رقدتها على أعقاب الحرب العالمية الثانية، اشتدت حاجة هذه البلاد إلى من يعرِّف العالم بها من جديد تعريفًا صحيحًا في ثوب قشيب.

فتعين عليَّ أن أعمل ما يسد هذا الفراغ في المكتبة العربية، وأن أسقط عن علمائنا هذا الفرض الكفائي، فنشرت عام ١٩٥٠م: «كتاب الإسلام في نيجيريا وعثمان بن فودي» فأثلج بعض الصدور الغليلة، وكشف اللثام عن هذه الجهات المجهولة، ثم نفدت النسخ منذ سنوات في فترة أحوج ما يكون الناس إليها بداخل البلاد وخارجها.

على أني قد وعدت القراء بإضافة ما أكتسب من فوائد تاريخية إلى الطبعة الثانية، ولكن عدم توفر الإمكانات الأدبية والمادية لرجل عادي مثلي، يبحث عن وثائق التاريخ في مثل هذه البلاد، حال دون عثوري على

obeikandi.com

الكثير من تلك الوثائق والآثار لمدة عشرين عامًا، فاكتفيت بالقليل الميسور عن الكثير العسير.

هذا، وقد جدَّت شؤون كثيرة تمخضت عن الأحداث السياسية، وتطورت عن الحياة الثقافية، وتقلبت عن المعيشة الاجتماعية من أيام الاستعمار إلى أيام الاستقلال، حتى وصلت إلى الحرب الأهلية التي انتهت بالنصر الباهر للوحدة على الفرقة، وللوطن على الاستعمار، وللإسلام على الصليبية. وكل ذلك من غير شك مما يعطي القارئ متعة وسلوى عن كل ما يحتمل من نقص وغضاضة في أمور أخرى.

فها هي ذي الطبعة الثانية فأرجو قبول معذرتي في كل غث وفج وركاكة وخداج.. لأن السليقة التي نشأت عليها، والبيئة التي أعيش فيها لا تساعدان على النضوج الكامل في التعبير والتأليف، فليقتنع القارىء الكريم بما يشير إلى المقصود من تعبيري، ولو لم يؤدِّ المعنى بالبيان التام.

ولم ألتزم تقييد صفحات المراجع في كل موضوع، بل ذكرت أسماءها في صفحة واحدة. فأرجو الإغضاء عن هذه العورات كلها. عفا الله عنا وعنكم جميعًا.

آدم عبد الله الإلوري

●●●

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على من لا نبي بعده.

كان للتاريخ بين العلوم العقلية والنقلية مكانة لا تجهل، ومزية لا تنكر، وله أثره القوي في دفع عجلة التقدم إلى الأمام، لأن دراسة التاريخ لا تكون تسلية بذكرى الوقائع والأخبار فقط، ولكنها تكون تذكرة وتربية بأحوال الأمم الماضية، وبيئاتهم المختلفة في الأعصر السالفة، لتحسين الشؤون في الحياة الحاضرة على حد قول الشاعر:

ليس بإنسان ولا عاقل　　من لا يعي التاريخ في صدره
ومن وعى أخبار من قبله　　أضاف أعماراً إلى عمره

ومهما يكن الأمر من شيء، فإن تاريخ كل أمة في المبدأ لا يخلو أكثره من الأساطير التي يتشدّق بها البسطاء من عصرها السابق للتاريخ، فيتعداه إلى عصرها التاريخي، والعصر التاريخي بالذات، قد يسجل الأوهام والأكاذيب التي تنشأ من الجهل أو الغفلة، أو يحمل الافتراضات والتخمينات التي تنشأ من التعصب أو الغيرة. ولا يكاد ينجو من هذه وتلك إلا الموفقون المنصفون، وقليل ما هم.

وإذا رجعنا إلى فجر تاريخ نيجيريا وجدنا أنه يقرب من ألف سنة، عند اتساع النفوذ الإسلامي بغرب أفريقيا. ولكنه تاريخ محدود في دائرة ضيقة من بعض بلادها لم يتسع إلى سواها، لأن علماء أفريقيا الغربية للمسلمين القدماء لا يكترثون بتدوين حوادث بلادهم التي شاهدوها، ولا بدراسة أحوال أرضهم التي نشأوا فيها وترعرعوا فوقها، وإنما يطمحون إلى دراسة

أحوال البلاد النائية ويصرفون النظر عن بلادهم الدانية، اللهم إلا ما كان منذ أربعمائة سنة، حيث بدأ قليل من العلماء يسجلون تاريخ بعض الأمراء والعلماء في هذه البلاد، وبالطليعة الأولى منهم «أحمد بابا التمبكتي» المتوفى ١٠٠٣ و«عبد الرحمن السعدي» و«آل فودي» وتلاميذهم. فهؤلاء الذين بحثوا في التاريخ الإفريقي القديم، وتركوا لنا منه شيئًا نستضيء به في البحث ونهتدي به في التأليف.

ثم إني طالعت الكتب الموضوعة باللغة الإنكليزية، فألفيتها مزيجًا من الحق والباطل، أو خليطًا بالإخلاص والتعصب. كما وجدت نتفًا من الكتب العربية لبعض الرحالة العرب الذين زاروا البلاد زيارة عابرة، وكتبوا مشاهداتهم، وأضافوا إليها أشياء منقولة من الكتب الإنكليزية فجاءت كتبهم بضاعة مزجاة.

ومن أجل ذلك نهضتُ لتتبع تاريخ هذه البلاد مستعينًا بمؤلفات أهلها، واعتمدت كتب الإنكليز فيما يخصهم لمعرفة تواريخهم.

وأضفتُ إلى ذلك كله ما وعيت من الأخبار المتواترة عند علمائنا الكبار وشيوخنا الطاعنين في السن وزدتُ عليها بعض حوادث شاهدتها. وأخبارًا وعيتها. ولم يكتب عنها أحد قبلي، خصوصًا في تاريخ بلاد (يوربا). وقد تحاشيت الخطأ ما استطعت ومع ذلك لا أدعي الكمال، والكمال لله وحده.

وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

آدم عبد الله الإلوري

رمضان ١٣٦٩هـ

يوليو ١٩٥٠م

تعريف نيجيريا

النيجر محرَّفة من نيغرو، وهي كلمة لاتينية، معنا الزنجي الصغير والأسود القصير. ولقد أطلقتها الأمم القديمة على سكان غرب أفريقيا وأستراليا كما أطلق العرب عليهم كلمة الزنج أو النوبة أو السودان، وأطلقوا كلمة نيل السودان على نهرهم الذي ينبع من أعالي فوتاجالون، ثم يجري شرقًا إلى نواحي الصحراء الكبرى، ماراً ببلاد تمبكتو ثم ينحدر جنوبًا إلى ثغر «لوكوجا» حيث يلتقي به نهر بنوى الآتي من بلاد أدماوي، النابع من سفح جبال كمرون، فيتحد الاثنان ويصبان في المحيط الأطلسي بنواحي خليج بنين.

وتقدَّر مسافته من منبعه إلى مصبه بنحو ألفين وخمسمائة ميل، وهو ثاني الأنهار الأربعة المشهورة في افريقيا: «النيل، والنيجر، والكنغو، والسنغال».

وكلمة نيجيريا بالمعنى العام، تعنى ما حول بلاد نيغرو أو ما حول وادى النيجر.

وعلى صحة هذا التعبير تنطبق الكلمة على سائر البلاد التي وجد فيها نيغرو «قبائل الزنج» بغرب أفريقيا، أو على البلاد التي مر بها النهر من منبعه إلى مصبه، حتى يشمل جميع ما يُعرف اليوم بغرب أفريقيا، لأن النهر قد اخترق معظمها في مروره.

وإذا ضربنا صفحًا عن التحديدات السياسية والتقسيمات الاستعمارية،

وجدنا أن جميع البلاد الواقعة فيما وراء الصحراء الكبرى جنوبًا وغربًا حتى المحيط إلى حدود الكنغو، كانت تسمى في التاريخ القديم بالسودان الغربي، وعليه كتب الأولون من أمثال البكري وابن خلدون والتمبكتي والسعدي.

أو أنها كانت تسمّى بلاد التكرور، وعليه كتب المتأخرون كالسلطان محمد بللو في كتابه «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور».

ولقد كانت الدول التي تقوم بغرب أفريقيا تكتسح جميع أجزائها وتصهرها في بوتقة واحدة، تحت عنوان غانة مرة، ومالي حقبة، وتكرور دورة، وسنغي تارة، لم تتوزع في العناوين المختلفة الحديثة، مثل السنغال - بينين حاليًا- والداهومي[1] ونيجيريا، إلا بعد تكالب المستعمرين عليها.

والواقع أن قبائلها ولغاتها تبلغ المئات عند تعدادها، ولكن ذلك لا يضرها شيئًا؛ إذ لا يكاد يسلم شعب أو أمة في العالم من وجود عناصر مختلفة اللغات والقبائل والديانات، ثم لا يضر ولا يقدح ذلك في وحدتها ولا في دولتها.

وكذلك فإن قبائل غرب أفريقيا وإن كانت متعددة في الفروع فهي متحدة في الأصول، متقاربة في التقاليد والعادات، متماثلة في الحروف واللهجات، متشابهة في العقائد والديانات، متعاونة ومتحالفة في الدفاع عن الغارات والهجمات.

إذ ليست بين أقطارها حواجز طبيعية ولا موانع أصلية، وكلهم سواسية تجمعهم وحدة اللون والإقليم والمنطقة. فإنك لا تستطيع أن ترسم حدود

---

(١) جمهورية بينين حاليًا.

obeikandi.com

غـانة القـديمة ومـالـي وسنغي وبرنو دون تداخل بعـضـهـا في بعض أو دون تداخل حدود بعضها بعضًا فيما نسميه اليوم نيجيريا والسنغال ومالي وغانة .

أما أصول قبائل غرب أفريقيا فترجع إلى خمسة جراثيم وهى : إمَّا بربرية أو فينيقية أو رومية أو نوبية أو عربية . وقد امتزج بعضها ببعض عن طريق المصاهرة حتى تكونت منهم القبائل الحاضرة .

ولكل قبيلة لغتها الخاصة قد لا تفـهمها جارتها إلا بالتعلم غير أن أعظم لغاتها هي الفلانية التي تشعبت إلى لغة الماندنغ والولوف في بلاد السنغال ومالي وغينيا ونيجيريا ، ثم لغة هوسا التي تقرب كثيرًا من العربية بحروفها وقواعدها وهي شبيهة بلغة السواحلية في جنوب أفريقيا ومن بعدهما تأتى لغات الكانوري واليوربا ونوفى .

بين شمال افريقيا وغربها:

الصلات التي تربط شمال أفريقيا بغربها متوغلة في القدم ، تعود إلى أيام الفينيقيين والقرطاجنين والرومان الذين هم أول من فتحوا طرق التجارة والسياسة بين بلادهم وبين قبائل الزنوج .

لا يفصل بين شمال أفريقيا وغربها إلا الصحراء الكبرى ، وليست هذه الصحراء قاحلة بل يوجد في بعض أطرافها واحات مبعثرة . وليست هذه الواحات خالية من السكان الذين يسهلون مرور القوافل المجتازين من الشمال إلى الغرب ذهابًا وإيابًا .

وكانت قبائل العرب الصنهاجيين والزناتيين وغيرهم ، من الذين نزحوا

مع أفريقش إلى أفريقيا، ممن لعبوا دوراً ملموسًا في تسخير هذه الصحراء وتذليل صعوبات المواصلات فيها بجمالهم وبغالهم.

لأن طبيعة الإقليم ومنطقته شبيهة في جدبها بطبيعة جزيرتهم التي نزحوا منها، لذلك لم يجدوا صعوبة في استعمار تلك الأراضي واجتيازها إلى ما وراء الصحراء في الجنوب والغرب باستثناء المناطق الكثيفة في الغابات الاستوائية.

لم يترك أولئك القوم مدينة من مدن الزنوج القديمة إلا دخلوها وتعاملوا مع أهلها. غير أن أكثر تلك البلاد القديمة قد اندرست منذ زمن من جراء الحروب المتوالية وانمحت من الخريطة ولم يبق إلا أسماء بعضها في صفحات التاريخ.

وأكثر البلاد القائمة اليوم لم يكن لها أثر قبل أربعة قرون وإنما قامت على أنقاض سابقتها المندرسة.

على أن الجهات الشمالية وما يليها إلى الجنوب هي التي كانت أكثر عمرانًا وأقدم حضارة من زميلتها الجنوبية، التي تمنع الغابات الاستوائية من عمرانها حيث تكثر فيها الحيوانات الضارة والحشرات السامة في المستنقعات الآسنة، فلا يلجأ الناس إليها إلا اضطراراً إذا فروا من وجوه أعدائهم.

●●●